Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الصوت -أو بتعبير آخر- أنه تابع للفظ، أما إذا حافظ التحرك الإبداعى على المعنى المراد التعبير عنه وزاد على ذلك انتظامًا واتساقًا فى البناء الصوتى مع مجيء الألفاظ متمكّنة مستقرّة فى مواضعها أمكننا أن نقرر تبعية بناء الصوت لبناء المعنى أو -بتعبير آخر- تبعية اللفظ للمعنى[1].

وهكذا نستطيع أن نقرر تاريخيا أنّ السجع كان أوّل أصناف البديع التى أحاط به سياج تصوّرات حاصرته فى ركن الوظيفة الإضافية (التزيينيّة)، زاعمة أنه يناط به تجنيس الكلام دون تصحيح المعنى،[2] ولقد تضخمت هذه التصورات لدى البلاغيين والنقّاد المتأخرين لتعمّ كل مباحث البديع. ويبدو أن هذه التصورات نمت فعليًا مع تبلور تعريف البديع على لسان الخطيب القزوينى مستخلصًا إياه من كلام السكاكى، متجلية فى سياق الشروح التى قامت على تلخيصه. فالبديع -عنده- هو: "علمٌ يُعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية

---

(١) انظر: الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، آفاق الترجمة، ت سلمى الخضراء الجيوشى، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ع١١، ١٩٩٦، ص٣٠ وما بعدها.

(٢) انطلاقا من ذلك رفض الباقلانى وقوع تلك القشرة التحسينيّة غير المقصود إليها فى القرآن، ذاهبًا إلى أن القصد هو مبعث التجانس الصوتى فى ختام الفواصل بيد أنه لم يستطع أن يمتثل لما راح يردده من أن ما على صورة السجع من القرآن مرتبطة كله بالمعنى ارتباطًا وثيقا، مسلّما بوجود مواضع معدودة يستجلب فيها لتجنيس الكلام دون تصحيح المعنى، ويتجلى ذلك فى قوله: "ثم إن سلّم لهم مسلم موضعًا أو مواضع محدودة، وزعم أن وقوع ذلك موقع الاستراحة فى الخطاب إلى الفواصل لتحسين الكلام بها، وهى الطريقة التى يباين القرآن بها سائر الكلام، وزعم أن الوجه فى ذلك أنه من باب الفواصل، أو زعم أن ذلك وقع غير مقصود إليه، وأن ذلك إذا اعترض فى الخطاب لم يعد سجعًا، على ما قد بيّنا من القليل من الشعر، كالبيت الواحد والمصراع، والبيتين من الرجز، ونحو ذلك يعرض فيه، فلا يقال إنه شعر، لأنه لا يقع مقصودًا إليه، إنما يقع مغمورًا فى الخطاب، فكذلك حال السجع الذى يزعمونه ويقدّرونه". إعجاز القرآن، الباقلانى، ص ١١٢. فكأنا به يقول مع من اعتقد بوقوع تلك القشرة التحسينية غير مقصود إليها فى بعض آى القرآن. وهذا يخالف زعمه المسبق بقدرته على أن يظهر ما لا يخفى من الفوائد فى المواضع التى يدعون أن اللفظة المسجوعة مجرد إضافة تحسينية يمكن الاستغناء عنها.